

الإسلام دين اجتماعي

للاستاذ محمد الشريف

مدير ادارة بحوث لخدمة وزارة الشؤون الاجتماعية

إن إطلاق كلمة 'الإسلام' على الدين الذي شرعه الله تعالى للناس أجمعين بدعوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، كاف في الدلالة على أن هذا الدين - وهو آخر الأديان - اصالح نظام اجتماعي في هذه الحياة .

فلفظ الاسلام يجمع من المعاني ما نستقيم به حياة الانسان أيان وجد وحيثا كان .

فهو مأخوذ من المسالمة والسلام - اللذين هما ضدان للحرب والخصام - وأسلم من السلام بمعنى الخضوع والانقياد ، وفي هذا المعنى جاءت الآية :

” أسدت وجهي لله “ ثم صار لفظ الاسلام علما على الدين الذي جاء به النبي العربي محمد بن عبد الله - صلوات الله عليه وبهذا المعنى ورد قوله تعالى :

” اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً “
والإسلام عهد وميثاق يضع به الانسان روحه ونفسه ، وقلبه وقوله ، وعمله ورجائه ، وغضبه ورضاه في ميزان الله . فمى الله يحب ويكره وفي الله يرضى ويفض .

فمن أسلم فقد أسلم وجهه وقلبه لله وأخلص نفسه وقصدته لله .

وإذا أسلم المسلم وجهه الى الله فهو المؤمن العزيز - قال تعالى :

” ولله العزة ورسوله وللمؤمنين “ .

والاسلام على هذا الوجه هو أرفع ما يصل اليه الانسان من شرف الغاية وسمو الحياة .

الدين الاسلامي هو خاتم الأديان السماوية فلا غرو اذا جمع الله فيه ما تشنت من مثل الاصلاح في غيره من الأديان ولا غرابة اذا اتسعت أحكامه وتعاليمه للناس على اختلاف نحلهم وبيان أصقاعهم وتفاوت أزمانهم وتنوع ثقافتهم وحضارتهم . شأنه في ذلك شأن كل عمل ينتمى اليه يتسبى الكمال .

جاء الاسلام ينظم شؤون المجتمع الانساني ويضع أسس الحياة الصالحة فيه ، فاهتم بالفرد والأسرة والدولة .

اهتم بالفرد فاحترم الشخصية الانسانية لذاتها ، فالانسان في نظر الاسلام هو الكائن الحى ذو الارادة له ميول و رغبات ينبغي ان تحترم وأن يحسب لها حساب ، وما الحرية والمساواة والإخاء الأئمة من ثمار نمو الشخصية الإنسانية في ظل الاسلام وإن ادعى الفرنسيون أنها وليدة ثورتهم وجعلوها رمزا لجمهوريتهم .

فالإسلام هو أول من نادى بهذه المبادئ وأول من حققها في أكل صورها .

تحققت الحرية لجميع الناس وبكافة الصور المعروفة لدينا اليوم من سياسية وفكرية ودينية .

أما عن الحرية السياسية فلقد كان الأمر في الاسلام شورى - أمر بها الله نبيه

الصادق الأمين في قوله تعالى " وشاورهم في الأمر " وكانت طريقته عليه السلام في الشورى أن يأخذ بما أجمع عليه أصحابه ولو كان مخافاً لرايه ، فإن اختلفت آراؤهم أخذ بما استقرت عليه أغلبيتهم ، وكان خلفاء المسلمين وامرأؤهم إذا حدثت حادثة خطيرة يتصل بسلامة الدولة أو طرأ شأن لم توضع له قواعد من قبل كانوا في مثل هذه الأحوال وما إليها يجرون على مبدأ الاستفتاء العام — فيجمعون أهل المنطقة التي همها الأمر ويستفتونهم فيه وينزلون على رأى أغلبيتهم .

ولقد كان اختيار الخليفة نفسه موكولاً إلى المسلمين .

وعلى هذه الأسس الديمقراطية ولي الحكم جميع الخلفاء الراشدين ، وأوجب الاسلام على ولاته ألا يرموا أمراً ذا بال من أمور الدولة إلا إذا رجعوا فيه إلى المسلمين ، بل لقد طلب الولاة ذلك من المسلمين .

خطب أبو بكر رضى الله عنه عقب أن بايحه المسلمون بالخلافة فقال " أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فانيعوني وإن رأيتموني على باطل فسدوني أطيعوني ، ما أطلعت الله فيكم ؛ فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه " .
ويقول عمر رضى الله عنه " ألا إن رأيتم في أئوجاجا فقوموني بالسيف " .

من هذا يظهر لنا أن الإسلام قد ذهب في الأخذ بمبدأ الحرية السياسية إلى حد لم تصل إليه الديمقراطية في أية أمة من الأمم الحديثة .

ولا يختلف موقف الإسلام حيال الحرية الفكرية عنه حيال الحرية السياسية — فقد كانت حرية الرأى مكفولة في جميع عهود الاسلام محاطة بسياج من القدمية والاحترام .
كذلك سار الاسلام على أسس من التعاليم السمحة حيال الحرية الدينية فلم يرغم أحدا على ترك دينه واعتناق الإسلام .

وهذا ما اتبعه المسلمون في حروبهم فسهجوا لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم في وهذا يقول الله تعالى :

" لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " .

كما يقول في كتابه الكريم :

" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " .

فالحرريات بأنواعها قد كفلتها الدين الاسلامي للفرد وقررها في أكمل صورها وأوسع معانيها قبل أن تتعلق الديمقراطيات الحديثة بأكثر من ألف عام .

وكما قرر الاسلام حرية الفرد على اختلاف أنواعها قرر مساواة الناس في جميع الحقوق — لا تفاضل بينهم إلا بأعمالهم .

" إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .

ويقول عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع : أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم . وليس لعربي على عجمي ، ولا

لعجمي على عربي - ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . إلا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ” .

ويقول عمر رضي الله عنه : ” إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريعتهم ووضيعتهم في ذات الله سواء .

والإسلام الذي شرع المساواة بين الناس قد كفل لهم المواساة على خير وأحسن ما تكون المواساة . حيث الإسلام على مواساة كل ضعيف ومحتاج ، ومريض ويقيم . وأشرب القلوب رحمة بالمساكين . فبشر المتصدقين وأندب المساكين وخاطب الوجدان داعياً إلى الاحسان . ولكنه لم يترك الأمر رهن مشيئة الناس إن شاءوا مدعوا وإن شاءوا منحوا بل نظمهم فشرع الزكاة وجعلها حقاً معلوماً في أموال القادرين وكما نظم جباية الزكاة بنظم سبل صرفها ” إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ” .

لم يكفل الإسلام للفرق مساواة فحسب ولا مواساة فحسب ولكنه كفل له كذلك حياة سعيدة يحدوها للعلم ويأبى عنها المرض . فحسب الإنسان في العلم وقاوم الجهل وبغض فيه بل قد أمر الإسلام بطلب العلم وتحمل المشاق في سبيله . قال تعالى :

” وقل رب زدني علماً ” ” حل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ” .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ” يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة ” . وغنى عن البيان أن طلب العلم غير مقصور على المدارس والجامعات ، كما أن وسائل العلم لا تنحصر في القراءة والكتابة - وإنما العلم هو ما يثير الأذهان ويرفع مستوى التفكير والتقدير . وكما قاوم الإسلام الجهل قاوم المرض فأمر بالتطهير والنظافة والاعتدال في الشرهات واللذات وحرّم على أهل البلدة الموبوءة الخروج منها كما حرّم الدخول فيها .

هذه بعض تعاليم الإسلام . وهذا قبس من نوره .

هذه بعض ذخيرة الإسلام . وهذا شيء من هداه .

مكث الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً يدعو إليها الناس ويقرع بها الآذن . مكث يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة التي تصل إلى أعماق النفوس فتبذر بذور الخير وتحت أصول الشر . فلما انتشرت الدعوة وانشغل بها الناس وامتلاّت بها القلوب ، بدأ مرحلة التشريع والإلزام وهكذا كان السبيل في الاقتناع ثم التشريع . بل كانت الاقتناع أساس التشريع مع مراعاة التدرج والأناة والبعد عن الظفرة حتى يتبها الجو الصالح وتستعد الأذهان فتنفذ التعاليم إلى الدور والأرواح .

وهكذا تكون الروح الإسلامي : روح الانسانية السامية المتجهة إلى الحق والعدل والمساواة .

وهكذا خطا الإسلام بالبشرية قدما الى الأمام وبوأ الانسان مركزا لم يتبوأه في يوم من الأيام ووضع نظم الاجتماع والنظام العام .